الفصل العاشر
أم موسى وأمر الله

وتتجلى عظمة الله تعالى وقدرته مرة أخرى في القصص القرأنى؛ لبيان ماهية اطمئنان القلوب المتعلقة بربها، والتي تملك من اليقين ما يجعلها تفعل بوحي قلبها ما ينافى ماديات العقول ، أنها أم موسى تلقى بوليدها في اليم نعم !اليم أنه من منظور العقل الهلاك والموت ؛ ولماذا ستلقي به في اليم؟ خوفا من فرعون وبطشه ، أهو هروب من قتل إلى قتل أخر ؟ أما هناك نجاة خفية بين أمواج هذا اليم ، أنه أمر الله لام موس ؛ عندما خافت عليه من فرعون الذي كان يذبح كل ذكر يولد خشية أن يكون سبب هلاكه فقال الله تعال:" وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي ۖ إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ (٧) القصص

هذا وحي ألهام ، وكل إنسان يمكن ان يوحى إليه وحي ألهام ، بأن يخطر بباله أمر يلح عليه بالتنفيذ لان فيه أمر خير من الله ، ولا يكون ذلك غلا مع عباد الله المخلصين ، ولهذا كان وحي الله لام موس بإلقاء ابنه الرضيع فى اليم وذلك عن طريق وضعه فى صندوق خشبي يحميه من الماء ، ما كان هذا الأمر إلا الخير كله وكان في باطنه النجاة ، وقال لها لا تخافي ولا تحزني إنا رادوه إليكِ وليس هذا فقط بل وجاعلوه من المرسلين ، باطمئنان قلب أم موس ألقت به في اليم وتولته رحمة ربها الذي سخر لها

اليم وأمواجه ليحملا موس كحضن الأم ، ثم ترسل أخته تتقصى اخباره كما ذكر بالقرأن الكريم في قوله تعالى " وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِغًا ۖ إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (١٠) وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ ۖ فَبَصُرَتْ بِهِ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (١١) القصص

وهنا جعلت أختُه تتبع اثره و تنظر إليه وكأنها لا تريده، وذلك أنه لما استقر موسى عليه السلام بدار فرعون وأحبته امرأة فرعون وأخذته ليتربى في دار فرعون ، ولكن عرضوا عليه المراضع التي في دارهم فلم يقبل منها ثدياً، وأبى أن يقبل شيئاً من ذلك، فخرجوا به إلى السوق لعلهم يجدون امرأة تصلح لرضاعته، فلما رأته اخته بأيديهم عرفته ولم تظهر ذلك ولم يشعروا بها. قال الله تعالى: "وحرمنا عليه المراضع من قبل" أي تحريماً قدرياً، وذلك لكرامته عند الله وصيانته له أن يرتضع غير ثدي أمه، ولأن الله سبحانه وتعالى جعل ذلك سبباً إلى رجوعه إلى أمه لترضعه، وكان هذا وعد الله لها إنا رادوه إليكِ ،وهي آمنة بعد ما كانت خائفة، فلما رأتهم حائرين فيمن يرضعه "قالت هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون" قال ابن عباس : فلما قالت ذلك، أخذوها وشكوا في أمرها، وقالوا لها: وما يدريك بنصحهم له وشفقتهم عليه ؟ فقالت لهم: نصحهم له وشفقتهم عليه ورغبتهم في سرور الملك ورجاء منفعته، فأرسلوها، فلما قالت لهم ذلك وخلصت من أذاهم، ذهبوا معها إلى منزلهم فدخلوا به على أمه فأعطته ثديها فالتقمه، ففرحوا بذلك فرحاً شديداً، وذهب البشير إلى امرأة الملك، فاستدعت أم موسى، وأحسنت إليها وأعطتها عطاء جزيلاً،

وهي لا تعرف أنها أمه في الحقيقة، ولكن لكونه وافق ثديها، ثم سألتها آسيا امرأة فرعون أن تقيم عندها فترضعه، فأبت عليها وقالت: إن لي بعلاً وأولاداً، ولا أقدر على المقام عندك، ولكن إن أحببت أن أرضعه في بيتي فعلت، فأجابتها امرأة فرعون إلى ذلك، وأجرت عليها النفقة والصلات والكساوى والإحسان الجزيل، فرجعت أم موسى بولدها راضية مرضية قد أبدلها الله بعد خوفها أمناً، في عز وجاه ورزق دار. ولهذا جاء في الحديث "مثل الذي يعمل ويحتسب في صنعته الخير، كمثل أم موسى ترضع ولدها وتأخذ أجرها" ولم يكن بين الشدة والفرج إلا القليل يوم وليلة أو نحوه، والله أعلم، فسبحان من بيده الأمر، ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، الذي يجعل لمن اتقاه بعد كل هم فرجاً وبعد كل ضيق مخرجاً، ولهذا قال تعالى: "فرددناه إلى أمه كي تقر عينها" أي به "ولا تحزن" أي عليه "ولتعلم أن وعد الله حق" أي فيما وعدها من رده إليها وجعله من المرسلين، اطمئنان القلوب نعمة من الله لعباده المخلصين وقوله تعالى: "ولكن أكثرهم لا يعلمون" أي حكم الله في أفعاله وعواقبها المحمودة التي هو المحمود عليها في الدنيا والآخرة، فربما يقع الأمر كريهاً إلى النفوس وعاقبته محمودة في نفس الأمر، كما قال تعالى: " وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (٢١٦) البقرة